الإتْبَاعُ والمُزَاوَجَةُ فِي العَرَبِيَّةِ(دراسةٌ في المَفهومِ والاصْطِلَاحِ):

Follow and Pairing in the Arabic(study in concept and terminology)

م.م. أحمد تيمور فليّح. Teacher assistant: Ahmed Taymoor Flaih
مديريّة تربية بابل. Directorate- General of Education in Babil

Abstract:

The phenomenon of following and pairing is one of the phenomena that was found in the Arabic language and gave it richness in expression, both in terms of pronunciation and in terms of meaning. Linguists, both early and late, such as Abu al-Tayyib al-Lughuaghi and his student Ahmad bin Faris, al-Suyuti, al-Qali and others, wrote about it in separate books or comprehensive chapters on it. Their linguistic books. These papers provide a quick overview of this phenomenon. This article included an explanation of the linguistic and terminological meaning of following and pairing, a talk about the connection between them, an explanation of the purpose of following, and an explanation of some controversial issues related to the topic of the article.

key words:

Follow. Pairing. Arabic language.

الملخّص:

تُعدُّ ظاهرة الإتباع والمزاوجة من الظواهر الّتي وُجِدَت في اللغة العربيّة وأكسبتها ثراءً في التّعبير، سواءً من ناحية اللفظ أم من ناحية المَعْنَى، وقد كتب عنها اللغويون من المتقدّمين والمتأخّرين كأبي الطيّب اللغويّ وتلميذه أحمد بن فارس والسّيوطيّ والقَّالي وغيرهم فألّفوا فيها كتباً مستقلّة أو فصولاً وافيةً في كتبهم اللغويّة. وفي هذه الوريقات إلمامة سريعة بهذه الظّاهرة. وقد تضمّن هذا المقال بيان المَعْنَى اللغويّ والاصطلاحيّ للإتباع والمزاوجة، والحديث عن الصّلة بينهما، وبيان الغرض من الإتباع، وبيان بعض المسائل الخلافيّة المتعلّقة بموضوع المقال.

الكلمات المفتاحيّة:

الإتباع. المزاوجة. اللغة العربيّة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين. والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وآله الطيّبين الطّاهرين.

أمّا بعد. فهذا مقال لمراجعة الموضوع حاول كاتبه إلقاء الضّوء على ظاهرةٍ لغويّةٍ وُجِدَت في اللغة العربيّة ويقال: إنّها وُجِدت في غيرها من اللغات، ألا وهي ظاهرة الإتباع اللغويّ، وقد قسّمته على مطلبين، وختمته بذكر بعض الاستنتاجات، إذ تناولت في المطلب الأوّل تعريف هذه الظّاهرة وتعريف أختها (المزاوجة) والغرض من (الإتباع) وبعض المؤلّفات التي كتبت فيه. أمّا المطلب الثّاني فكان للخلافات التي وقعت بين العلماء في تحديد هذه الظّاهرة اللغويّة واختلاف وجهات نظرهم في تفسيرها. أمّا الاستنتاجات فتضمّنت خلاصة ما توصلت إليه من هذا الدِّراسة المتواضعة. وإنْ كنت قد جانبت الصّواب في العديد من المواضع فعذري بأنّي قد توخَّيْته.

ومن ذا الذي تُرضى سجاياه كلّها*** كفى المرءِ نبلاً أنْ تعدَّ معايبه

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمينَ.

۞ المطلب الأوّل: الإتباع لغةً:

ورد في معجم "العين": "التّابع: التّالي، ومنه التّتبّع والمتابعة، والإتباع، يتبعه: يتلوه .تبعه يتبعه تبعاً"(١).

وقال الأزهريّ(ت٣٧٠هـ): "يُقَال: تبع فلَانٌ فلَاناً واتَّبعه؛ قَالَ الله تَعَالَى فِي قصّة ذِي القَرْنين: {ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً}[٢]. وقرئ: (اتَّبَعَ سَببا)... قَالَ أَبُو عُبيد: وَيُقَال: أتبعت الْقَوْم مِثَال أفعلت إِذا كَانُوا قد سبقوك فلحِقتهم. قَالَ: واتَّبعتهم مثل افتعلت إِذا مرّوا بك فمضيت مَعَهم، وتبِعتهم تَبَعاً مثله. وَيُقَال: مَا زلت أتّبعهم حَتَّى أَتْبعتهم، أَي حَتَّى أدركتهم.."[٣]. وقال ابن سيده(ت٤٥٨ هـ): "وَالتَّابِع: التَّالِي، وَالْجمع تُبَّعٌ وتُبَّاعٌ وتَبَعَةٌ"[٤].

وقال ابن منظور(ت٧١١هـ): "والتابِعُ: التَّالي، وَالْجَمْعُ تُبَّعٌ وتُبَّاعٌ وتَبَعة. والتَّبَعُ: اسْمٌ لِلْجَمْعِ"[٥]. وقال الزّبيديّ(ت١٢٠٥ هـ): "والتَّابِعُ: التّالِي، والجَمْعُ تُبَّعٌ، وتُبَّاعٌ، كسُكَّرٍ ورُمَّانٍ. واتَّبَعَ القُرْآنَ: ائْتَمَّ بِهِ وعَمِلَ بِمَا فِيهِ. والتَّابِعُ: الخَادِمُ.."[٦].

۞ الفارق بين التّابع والتّالي:

نصَّ الخليل وابن سيده وابن منظور والزّبيديّ – كما مرّ– على أنّ التّابع هو التّالي، فهما كلمتان مترادفتان عندهم، وخالفهم أبوهلال العسكريّ(ت٣٩٥ هـ) فذكر نقلاً عن عليّ بن عيسى الرّمّانيّ(ت٣٨٤هـ) فرقين بين التّابع والتّالي فقال: "الفرق بين التّالي والتّابع: أَنّ التَّالِي فِي مَا قَالَ عَليّ بن عِيسَى ثَانٍ وَإِنْ لم يكن يتدبّر [بتدبير] الأوّل، [والتّابع] إِنَّمَا هُوَ المتدبّر [بتدبير] الأوّل وَقد يكون التَّابِع قبل الْمَتْبُوع فِي الْمَكَان، كتقدّم الْمَدْلُول وَتَأَخُّر الدَّلِيل، وَهُوَ مَعَ ذَلِك يَأْمر بالعدول تَارَةً إِلَى الشّمَال وَتارَةً إِلَى الْيَمين كَذَا قَالَ"[٧]. فعلى هذا الكلام يكون التّابع أخصّ من التّالي من وجهٍ وأعمّ منه من وجهٍ آخر، فيتّفقان في الّذي يجيء بعد الأوّل ويتدبّر بتدبيره، ويفترق التّابع عن التّالي في المتقدّم مكاناً أو زماناً ومع ذلك يتدبّر بتدبير الآخر، ويفترق التّالي عن التّابع في اللاحق الّذي لا يتدبّر بتدبير الأوّل.

۞ الإتباع اصطلاحاً:

قال ابن فارس(ت٣٩٠ هـ) في تعريفه: "وهو أنْ تتبع الكلمةُ الكلمةَ عَلَى وزنها أَوْ رويّها إشباعاً وتأكيداً. ورُوي أنّ بعض العرب سُئِل عن ذَلِكَ فقال: هو شيءٌ[نَتِد][٨] بِهِ كلامنا. وذلك قولهم: "ساغِبٌ لاغِب", و "هو خَبٌّ ضَبّ", و "خَرابٌ يَباب". وَقَدْ شاركَتْ العَجَمُ العربَ فِي هَذَا الباب"[٩]. وقال الثّعالبيّ(ت٤٢٩هـ): "هو من سنن العرب، وذلك أنْ تتبع الكلمة الكلمة على وزنها ورَوِيّها إشباعاً وتوكيداً اتّساعاً كقولهم: جائع نائع وساغِب لاغِب وعَطشان نَطْشان وصَبَّ ضَبَّ وخَراب يَباب. وقد شاركت العربَ العجمُ[١٠] في هذا البَاب"[١١]. وقال الكفويّ(ت١٠٩٤هـ): "والإتباع: هُوَ أَنْ تتبع الْكَلِمَة على وَزنهَا أَو رويّها إشباعاً وتوكيداً، حَيْثُ لَا يكون الثَّانِي مُسْتَعْملاً بِانْفِرَادِهِ فِي كَلَامهم، وَذَلِكَ يكون على وَجْهَيْن: أَحدهمَا: أَنْ يكون للثَّانِي مَعْنَى كَمَا فِي (هَنِيئاً مريئاً)

وَالثَّانِي: أَن لَا يكون لَهُ مَعْنَى، بل ضُمّ إِلَى الأول لتزيين الْكَلَام لفظاً وتقويته مَعْنَى نَحْو قَوْلك: (حسن بسن) وَعَلِيهِ {عبس وَبسر}[١٢]"[١٣]. ويلاحظ من هذا البيان اشتراطه عدم استعمال اللفظة التابعة بانفرادها وإنْ كان لها مَعْنَى مستقلّ في ذاتها، على أنّ المثال القرآني الذي مثّل به الكفويّ لا يخلو من نقاش. ويلحظ كذلك من التّعريفات السّابقة بيان الغَرَضِ مِنَ الإتْبَاع، وهي الفائدة اللفظيّة المتمثّلة بالإشباع، والفائدة المعنويّة المتمثّلة بالتّوكيد، وسيأتي الكلام عنهما في المطلب الثّاني.

۞ المزاوجة:

قال ابن سيده: "وازدوج الْكَلَام، وتزاوج: أشبه بعضه بَعْضاً فِي السجع أَو الْوَزْن أَو كَانَ لإحدى القضيتين، تعلّق بالأخرى"[١٤]. وقال الشّريف الجرجانيّ(ت٨١٦هـ): "المزدوج: هو أنْ يكون المتكلم بعد رعايته للأسجاع يجمع في أثناء القرائن بين لفظين متشابهين في الوزن والرّويّ، كقوله تعالى: {وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ}[١٥]. وقوله (صلى الله عليه [وآله] وسلم): "المؤمنون هيّنون ليّنون"[١٦]"[١٧]. وقال الزّبيديّ: "ومن الْمجَاز: تَزاوَجَ الكَلامانِ وازْدَوَجَا. وَقَالُوا: على سَبِيلِ المُزَاوَجَة هُوَ والازْدِوَاجُ بِمَعْنَى واحدٍ. وازْدَوَجَ الكلامُ وتَزاوَجَ: أَشْبَهَ بَعضُه بَعْضاً فِي السَّجْعِ أَو الوَزْن، أَو كَانَ لإِحْدَى القَضِيَّتينِ تَعَلُّقٌ بالأُخرَى"[١٨]. وذكر مثله المناويّ(ت١٠٣١هـ) في التّوقيف والأحمد نكري(ت ق١٢هـ) في دستور العلماء وأسمياه (التّضمين المزدوج) أو (تضمين المزدوج)[١٩]، قال المناويّ: التّضمين المزدوج: أنْ يقع أثناء قرائن النّثر أو النّظم لفظان مسجعان بعد رعاية حدود الأسجاع والقوافي الأصلية، كقوله تعالى: {وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ}[٢٠]، وكحديث "المؤمنون هينون لينون"[٢١]. ومن النّظم:

تعوّد رسم الوهب والنّهب في العلى *** وهذان وقت اللطف والعنف دأبه"[٢٢]

وعرفه السّيوطي(ت٩١١هـ) باختصار فقال: "المزدوجُ: مَا ولي فِيهِ أحد المتجانسين الآخر"[٢٣].

۞ الغرض من الإتباع:

يمكن إيجاز ما قيل من أغراض الإتباع في غرضين على خلاف بين العلماء في أيّهما هو الغرض الرّئيس:

١/ الغرض اللفظيّ: وهو قسم من أقسام الانسجام الصّوتيّ، وهذا الجانب نجد له جذوراً في كلمات المتقدّمين، فممّا ذكره الأزهريّ: "يُقَال للرجل الشُّجاع: أَهْيَس أَلْيَس، وَكَانَ فِي الأَصْل أَهْوَس أَلْيس، فلمّا ازْدَوَج الكلامُ قَلَبوا الواوَ يَاءً فَقَالُوا: أَهْيَس" (٢٤) وفي تاج العروس: "و فِي الحَدِيث: "خَيْرُ المَال مُهْرَةٌ مَأْمُورةٌ وسِكَّةٌ مَأْبُورةٌ" . قالِ أَبو عُبَيْد: أَي كثيرةُ النِّتَاج والنَّسْلِ، والأَصلُ مُؤْمَرةٌ، مِن آمَرَهَا اللهُ. وقَالَ غيرُه: إِنّمَا هُوَ مُهرةٌ مَأْمُورةٌ للإِزْدِوَاج والإتباع؛ لأَنّهم أَتْبَعُوه مَأْبُورَةٌ فلمّا ازدوجَ اللَّفظانِ جاؤُوا بمأْمُورةٍ على وزن مَأْبُورة، كَمَا قَالَت العربُ: إِنّي آتِيَهِ بالغَدَايا والعَشايَا، وإنما يُجْمَع الغَداةُ غَدَوَاتٍ، فجاءُوا بالغَدايا على لفظ العَشَايا تزويجاً للفْظَينَ، وَلها نظائرُ"(٢٥). وممّن ركّز على هذا الجانب من المتأخّرين الدّكتور عبد الله العلايليّ(ت١٩٩٦م) الّذي قال: "الإتباع خفّة وذلاقة"(٢٦)، وكذلك الدّكتور حسين نصّار الّذي قال: "فالغاية هنا الجمال الصّوتيّ الشّبيه بما نجد في السّجع والقافية والجناس"(٢٧).

٢/ الغرض المعنويّ: وهو التّوكيد، وسيأتي في المطلب الثّاني تفصيل ذكر بعض الأقوال والخلاف فيه.

وممّن ركز على هذا الغرض الدّكتور صبحي الصّالح(ت١٤٠٧هـ)، فقال: "فالإتباع على ضربين: فضرب يكون فيه الثّاني بمَعْنَى الأوّل فيؤتى به توكيداً؛ لأنّ لفظه مخالف للفظ الأوّل، وضرب فيه مَعْنَى الثاني غير مَعْنَى الأول...والكلمة الثّانية في هذا الضّرب الثّاني إنّما هي تابعة للأولى على وجه التّوكيد لها، وليس يتكلم بالثّانية منفردة.."(٢٨)، وقد استظهر الباحث (سائر عادل دندش) من كلام عزّ الدّين التّنوخيّ(ت١٩٦٦م) أنّه يذهب لهذا الرأي(٢٩)، ولكن كلام التّنوخيّ غير واضح في هذا.

وعلى كلّ حال فربّما يكون الجمع بين الغرضين المتقدّمين هو الأقرب إلى الصّواب؛ إذ لا تنافي بينهما، ولكلّ منهما شواهد، وعليه التّعريفات المتقدّمة للإتباع، إذ جمع ابن فارس والثّعالبيّ والكفويّ بين الغرض الصّوتيّ وهو الإشباع وبين الغرض المعنويّ وهو التّوكيد، ولذلك خلص الباحث (ماهر خضّير هاشم) إلى "أنّ الإتباع إنّما يزاد لمجرّد التّلميح أو السّخرية أو المدح أو محض التّصويت والتّنغيم، وهذا مطلب تركيبيّ يفيد توكيداً اكتسبه من التّماثل الصّوتيّ بين التّابع والمتبوع"(٣٠).

۞ من المؤلّفات في الإتباع والمزاوجة:

١/ كتاب الإتباع لأبي الطيّب اللغويّ(ت٣٥١هـ)، وقد حقّقه عزّ الدّين التّنوخيّ، ونشره مجمع اللغة العربيّة بدمشق عام١٩٦١م، وقد نصّ أبو الطيّب في المقدّمة على أنّ اسمَه كتاب "الإتباع والتّوكيد"(٣١).

٢/ كتاب الإتباع والمزاوجة لأحمد بن فارس(ت٣٩٥هـ)، وقد نشره المستشرق رودلف برو سنة ١٩٠٦ بدون تحقيق، وقام الدّكتور كمال مصطفى بتحقيقه، وصدر بعدّة طبعات منها طبعة دار السّعادة، وهي الطّبعة المعتمدة في هذا البحث.

٣/ كتاب الإتباع لأبي عليّ القاليّ البغداديّ(ت٣٥٦) وقد طُبع في ذيل كتاب الإتباع والمزاوجة لأحمد بن فارس وهو في الحقيقة ليس كتاباً مستقلّاً، بل هو مستلّ من الأمالي.

٣/ كتاب الإتباع لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدّين السّيوطيّ (ت٩١١هـ)، وقد طُبع في ذيل كتاب الإتباع والمزاوجة لأحمد بن فارس وهو مستلّ من كتاب المزهر.

٤/ كتاب "الإلماع الى الإتباع" للسيوطي أيضاً، وقد ذكره في المزهر عند ذكر الإتباع والمزاوجة لابن فارس فقال: "وقد ألّف ابن فارس المذكور تأليفاً مستقلّاً في هذا النّوع، وقد رأيتُه مرتّباً على حروفِ المُعْجَم، وفاته أكثرُ مما ذكرَه، وقد اختصرتُ تأليفَه وزدتُ عليه ما فاتَه في تأليف لطيفٍ سميّتُه الإلماع في الإتباع"(٣٢).

۞ المطلب الثاني: الخلاف بين اللغويين:

لا خلاف بين اللغويين في أصل وجود ظاهرة الإتباع والمزاوجة، ولكن وقع الكلام في بعض الخصوصيّات الّتي ترتبط بهذه الظاهرة مثل:

١/ أنستطيع عدّ الإتباع والمزاوجة ظاهرتين أم هما ظاهرة واحدة؟ ٢/ ما هي الصِّلة بين الإتباع والتّوكيد؟

٣/ متى نحكم على اللفظة بأنها إتباع؟ ٤/ ما هي الفائدة من الإتباع؟ ٥/ الخلاف في بعض مصاديق الإتباع.

۞ بين الإتباع والمزاوجة:

استظهر الباحث (سائر عادل دندش) أنّ ابن فارس كان يستعمل الإتباع والمزاوجة في مَعْنَى واحد[٣٣] وبنى رأيه على منهجية ابن فارس في كتابه؛ فهو لم يفصل بين الإتباع وبين المزاوجة في فصول مستقلّة، ولكن هذا الاستظهار من الباحث المعاصر يعارضه ما ذكره ابن فارس في ديباجة كتابه، فقال: "هذا كتابُ الإتباع والمزاوَجَةِ، وكلاهُما على وجهينِ.."[٣٤]. ويظهر من قوله: "وكلاهُما" أنّه يبني على أنهما شيئان لا شيء واحد. وفيه أيضاً: "قال الأصمعيّ: رجل خيّاب تيّاب، قال: خيّابٌ: مِنْ خَابَ، وتَيَّابٌ: تَزْويجٌ، وهو يصلُحُ أنْ يكونَ إتباعاً"[٣٥]. وعلى كلّ حال فإنْ رجعنا إلى ما قيل في تعريف المزاوجة الذي تقدّم سابقاً نجد المَعْنَى مختلفاً، وقد فصّل (سائر عادل دندش) فذكر أمثلة للإتباع من الأمثال العربيّة شملت الكلمتين المتتاليتين اللّتين لهما وزن واحد ورويّ واحد وقد فصل بينهما بأحد حروف الجر الآتية: من، في، الباء، إلى، على، ومثّل لها بـ "قرنت الهيبة بالخيبة" وما يشبهها من الأمثلة، وكذلك شملت الكلمتين المتتاليتين اللّتين لهما وزن واحد ورويّ واحد وقد فصل بينهما بأحد حروف العطف الآتية: أو، ثم، الفاء، أم، ومثّل لها بقولهم: "الجار ثمّ الدّار" وما يشبهها، وكذلك شملت الكلمتين المتتاليتين اللّتين لهما وزن واحد ورويّ واحد وقد فصل بينهما بأحد الظروف الآتية: بعد، تحت، قبل، دون، مع، أبداً، ومثّل لها بقولهم: "حال الجريض دون القريض" وما يشبهها، وكذلك شملت الكلمتين المتتاليتين اللّتين لهما وزن واحد ورويّ واحد وقد فصل بينهما بأحد حروف المَعَانِي الآتية: لو، لولا، ما، قد، الكاف، لما، ومثل له بقولهم: "من بدا فقد جفا" وما يشبهه[٣٦]. وأغلب هذه الأمثلة ليست من الإتباع عند النّحاة وإنّما هي من المزاوجة، إلّا أنّ تعريف هذا الباحث للإتباع يشمل هذه الأمثلة، إذ عرفه بأنه "توارد كلمتين أو ثلاث في أسلوب كلاميّ مرتجل يغلب عليه الإيقاع الواحد والتّوافق في الوزن والرويّ، يسمّى طرفاه التّابع والمتبوع، والغالب ألّا يفصل بينهما بفاصل، وقد يفصل بينهما بحرف من حروف الجرّ أو المَعَانِي أو العطف، ويمكن أنْ يكون التّابع كلمة لا مَعْنَى لها جاءت لغاية فنيّة جماليّة هي تزيين الكلام لفظاً وتوكيد المتبوع وإمتاع السّامع، وقد يكون التّابع كلمة لها مَعْنَى بيّن جاء لتقوية مَعْنَى المتبوع وتوكيده.."[٣٧]. وذهب الدّكتور عطية سليمان أحمد كذلك إلى أنّ الإتباع والمزاوجة شيء واحد حيث صرح بأنّ المزاوجة لا تختلف عن الإتباع فـ "كلّ ما يسمّى إتباعاً يصحّ أنْ يسمّى مزاوجة والعكس صحيح"[٣٨]، وهذا بسبب التّوسّع في المصطلح، وقد مرّت أمثلة عديدة تندرج تحت مسمى المزاوجة دون الإتباع حسب تعريف من لا يتوسع، مثل: "قرنت الهيبة بالخيبة" وما شابه، فالأولى التّفريق بينهما.

۞ بين الإتباع والتّوكيد:

هناك من عدّ الإتباع شكلاً من أشكال التّوكيد كما مرّ من تعريف ابن فارس والثّعالبي والكفويّ، ولكن نقل أبو الطيّب اللغويّ عن أغلب اللغويين أنّهم يذهبون إلى التّفرقة بينهما، وهؤلاء أيضاً انقسموا على فئتين في بيان المميّز بينهما؛ فجعل بعضهم[٣٩] دخول الواو هي الفيصل بين الإتباع والتّوكيد، فما دخلت بينهما الواو توكيد وما لم تدخل بينهما الواو هو الإتباع[٤٠]. وذهب أبو الطيّب اللغويّ إلى "أنّ الإتباع مالم يختصّ به بمَعْنَى يمكن إفراده به، والتّوكيد ما اختصّ بمَعْنَى وجاز إفراده"[٤١]، وقد ردّ أبو الطيّب على الّذين ذهبوا إلى أنّ المعيار في الفصل بين الإتباع والتّوكيد هو دخول الواو و عدم دخولها بأنّهم "يقولون: هذا جائع نائع، فهو عندهم إتباع، ثم يقولون في الدعاء على الانسان: جوعاً ونوعاً، فيدخلون الواو وهو مع ذلك إتباع، إذ كان محالاً أنْ تكون الكلمة مرّةً إتباعاً ومرّةً غير إتباع، فقد وضّح أنّ الاعتبار ليس بالواو.."[٤٢]. يقصد أنّ كلمة (نائع) في مثال (جائع نائع) إتباع، وفي مثال (جوعاً ونوعاً) ليست إتباعاً. وفي قبال هذا يقف الاتّجاه الآخر الّذي يمثّله ابن فارس تلميذ أبي الطيّب الّذي خالف أستاذه فجعل الإتباع "على وَجْهين:

أحدهُمُا: أنْ تكون الكلمة الثّانية ذات مَعْنَى معروف، إلّا أنّها كالإتباع لما قبلها.

والآخَرُ: أنْ تكونَ الثّانيةُ غَيْرَ واضحةِ المَعْنَى ولا [بيّنة] [٤٣] الاشتقاق"[٤٤].

فما له مَعْنَى معروف هو أحد قسمي الإتباع عند ابن فارس خلافاً لما يظهر من كلام أبي الطيّب اللغويّ الّذي مرّ آنفاً. ومن هنا ناقش بعض اللغويّين في بعض الأمثلة التي ذكرت للإتباع، ونقاشهم يبتني على القول بأنّ اللفظة التي تأتي للإتباع لا مَعْنَى لها في نفسها، قال القاسم بن سلّام: "وَقد كَانَ بعض النَّحْوِيّين يَقُول فِي حَدِيث آدم (عَلَيْهِ السَّلَام): إِنَّه لما قَتل أحد ابنيه أَخَاهُ فَمَكثَ مائَة سنة لَا يضْحك، ثمَّ قيل لَهُ: حيّاك الله وبيّاك، قَالَ: وَمَا بيّاك قَالَ: أضْحكك. قَوْله: بيّاك أضْحكك يبيّن لَك أَنّه لَيْسَ بِاتِّبَاع إِنَّمَا هِيَ كلمة أُخْرَى"[٤٥].

ومن المَسائل الخلافيّة كذلك اختلافهم في نسبة القول بالتّفريق بين الإتباع والتّوكيد إلى مشهور اللغويّين، فقال أبو الطيّب اللغويّ: "وأكثرهم اختاروا الفرق بينهما، فجعلوا الإتباع ما لا تدخل عليه الواو، نحو قولهم: عطشان نطشان، وشيطان ليطان، والتّوكيد ما دخل عليه

الواو، نحو قولهم: هو في حِلٍّ وبِلٍّ، وأخذ في كل فنٍّ وفنن، ونحن بحمد الله نذهب إلى أنَّ الإتباع ما لم يختصّ به معنى يمكن إفراده... والتّوكيد ما اختصّ بمَعْنَى وجاز إفراده.."[٤٦] بينما "قال ابن الدّهّان في الغرة في باب التّوكيد: منه قسم يسمى الإتباع نحو: (عَطْشان نطْشان) وهو داخلٌ في حكم التّوكيد عند الأكثر.."[٤٧]. ويبدو من كلامه أنّ الإتباع من التّوكيد اللفظيّ، وهو الّذي سمّاه التّوكيد بالتّكرار، فقال: "والّذي عندي أنّ هذه الألفاظ تدخل في باب التّأكيد بالتّكرار نحو: رأيت زيداً زيداً، ورأيت رجلاً رجلاً، وإنّما غُيِّر منها حرف واحد لما يجيئون في أكثر كلامهم بالتّكرار، ويدلُّ على ذلك أنّه إنّما كرّر في أجمع وأكتع العين[٤٨] وهنا كُرّرت العين واللام نحو: حَسَن بسن، وشيطان ليْطان. وقال قوم: هذه الألفاظُ تسمّى تأكيداً وإتباعاً"[٤٩]. وبهذا يظهر خلافهم أيضاً في معيار عدّ اللفظة من الإتباع.

۞ الاستنتاجات:

١/ اختلف اللغويّون في بيان المَعْنَى اللغويّ للتّابع إذ نصّ الخليل وابن سيده وابن منظور والزّبيديّ وغيرهم على أنّ التّابع هو التّالي، بينما خالفهم أبو هلال العسكريّ، فنقل في الفروق اللغويّة عن عليّ بن عيسى الرُّمّانيّ فرقين بينهما، فبينهما عموم وخصوص من وجه.

٢/ وأما تعريف الإتباع اصطلاحاً، فربّما يكون أوجز تعريف ما اختاره الكفويَ اتّباعا لمن قبله، إذ عرفه بأنّه "أَنّ تتبع الْكَلِمَة على وَزنهَا أَو رويّها إشباعاً وتوكيداً، حَيْثُ لَا يكون الثَّانِي مُسْتَعْملاً بِانْفِرَادِهِ فِي كَلَامهم..". وبذلك يكون الإتباع أخصّ من المزاوجة الّتي لا يشترط فيها أكثر من التّشابه في السّجع أو الوزن، على أنّ هناك من دمج بينهما بتوسيع مصطلح الإتباع ليساوي مصطلح المزاوجة.

٣/ وأمّا الغرض من الإتباع فهناك غرضان: لفظيّ ومعنويّ، وقد ذكرت أنّ بعض العلماء قد ركّز على أحد هذين الغرضين، والأفضل الجمع بينهما.

٤/ واختلفوا كذلك في اتِّحاد الإتباع والمزاوجة أو التفريق بينهما، وكان اختلافهم في هذه المسألة تابعاً لنظرتهم إلى تعريف الإتباع من حيث الضّيق والسّعة؛ فمن وسّع المصطلح رآهما شيئاً واحداً، ومن خصصه ذهب إلى أنّ المزاوجة أعمّ.

٥/ استظهر الباحث سائر عادل دندش من كلام ابن فارس، أنّه يستعملهما بمَعْنَى واحد وقد بيّنت الاشتباه في هذا الكلام.

٦/ ومنه يتبيّن عدم تحديد مفهوم متّفق عليه لهذه الظاهرة ممّا أدّى إلى حصول اللبس والتّشويش في الحكم على الكلمات باندراجها تحتها أو عدم اندراجها.

٧/ واختلفوا في كون الإتباع من التّوكيد أو عدم كونه منه، والظّاهر أنّ أكثر اللغويّين يعدّونه توكيداً، فيما خالف فيه جماعة منهم أبو الطيّب اللغويّ الّذي زعم أنّ أكثر اللغويّين يفرق بينهما.

---

(١) العين:٧٨/٢، مادة: تبع.
(٢) سورة الْكَهْف:٨٩
(٣) تهذيب اللغة:١٦٧/٢مادة: تبع.
(٤) المحكم:٥٦/٢ مادة: تبع.
(٥) لسان العرب:٢٧/٨ مادة: تبع.
(٦) تاج العروس:٣٨٣/٢٠ مادة: تبع.
(٧) الفروق اللغوية:٣١٠، تسلسل:(٤٣٤)، وينظر: مجمع البيان:٢١٤/٤
(٨) في المطبوع بطبعة دار الكتب العلمية: (نَتدبر)، وقال ثَعْلَبُ في أماليه: قال ابنُ الأعرابيّ: سألتُ العرب أي شيء مَعْنَى شيطان ليطان فقالوا: شيء نَتِد به كلامنا: نشده." المزهر:٣٢٦/١
(٩) الصاحبي في فقه اللغة: ٢٠٩
(١٠) الأولى قراءتها بنصب العرب ورفع العجم لتتفق مع كلام ابن فارس الّذي مرّ ذكره.
(١١) فقه اللغة، الثعالبي: ٢٦٤
(١٢) سورة المدثر: ٢٢
(١٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية::٣٥
(١٤) المحكم:٥٦٢/٧

(١٥) سورة النمل: ٢٢
(١٦) شعب الايمان:٤٤٧/١٠حديث: (٧٧٧٧)، وكذلك: ٤٤٨/١٠حديث: (٧٧٧٨)
(١٧) كتاب التعريفات:٢١١
(١٨) تاج العروس:٢٤/٦، باب: زوج.
(١٩) ينظر: دستور العلماء:٢١٣/١
(٢٠) سورة النمل: ٢٢
(٢١) مرّ تخريجه.
(٢٢) التوقيف على مهمات التعاريف:٩٩
(٢٣) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم:١٠٥ت٧٢٢
(٢٤) تهذيب اللغة:٥٢/١٣ وينظر كذلك: لسان العرب:٢١٠/٦-٢١١ وتاج العروس:٤٩٢/١٦-٤٩٣ وجميعها في مادة (ل ي س)
(٢٥) تاج العروس: ٨٢/١٠ مادة: أمر.
(٢٦) مقدمة لدرس لغة العرب:٢١٨
(٢٧) دراسات لغوية:٦٢
(٢٨) دراسات في فقه اللغة:٢٣٩
(٢٩) ينظر: ظاهرة الإتباع والمزاوجة وأثرها في الأمثال العربية :٧
(٣٠) المشاكلة في اللغة العربية (صوتيا وصرفيا)، ماهر خضير هاشم، مجلة جامعة بابل / العلوم الإنسانية/ المجلد ١٨ / العدد (٣): ٢٠١٠م.
(٣١) كتاب الإتباع:٢
(٣٢) المزهر:٣٢٤/١
(٣٣) ينظر: ظاهرة الإتباع والمزاوجة وأثرها في الأمثال العربية : ١٣
(٣٤) الإتباع والمزاوجة، ابن فارس:٢٨
(٣٥) المصدر نفسه:٢٩
(٣٦) ينظر: ظاهرة الإتباع والمزاوجة وأثرها في الأمثال العربية : ٩-١٢
(٣٧) ينظر: المرجع نفسه : ١٢
(٣٨) الإتباع والمزاوجة في ضوء الدرس اللغوي الحديث:٢٦
(٣٩) وهم الأكثر كما ينقل عنهم أبو الطيب اللغوي.
(٤٠) ينظر: كتاب الإتباع، أبو الطيب اللغوي:٢-٣
(٤١) كتاب الإتباع:٣
(٤٢) المصدر والصفحة، ويظهر من ابن منظور موافقته في تخصيص الإتباع بما ليس له مَعْنَى مستقل فالحكم على الكلمة بأنها اتباع لا يصار إليه إلا مع عدم وجود مَعْنَى آخر، ولذلك قال: "إذا وجد للشيء مَعْنَى غير الإتباع لم يُقْضَ عليه بالإتباع" لسان العرب:٤١/١١، مادة: بأل
وأما الزبيدي في تاج العروس فقد وافق ابن منظور في تخصيص الإتباع بما ليس له مَعْنَى مستقل، ولكنه خالفه في عد الإتباع لا يقتضي التوكيد، فقال:" والإتباع يَقتضِي التأْكيدَ وأَن الثانَي لَيْسَ له مَعْنَى مستقِلٌّ به ." تاج العروس:٥٧/٧، مادة: ق ز ح
(٤٣) في الأصل: بنية
(٤٤) الإتباع والمزاوجة، ابن فارس:٢٨ وقد وافقه الدكتور صبحي الصالح كما في كتابه دراسات في فقه اللغة:٢٣٩
(٤٥) غريب الحديث:٢٨/٤
(٤٦) كتاب الإتباع:٢-٣
(٤٧) المزهر في علوم اللغة وأنواعها:٣٣٠/١
(٤٨) حرف العين، وهو لام الكلمة.
(٤٩) المزهر:٣٣٠/١

۞ قائمة المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم.

٢- كتاب الإتباع: لأبي الطيب اللغوي(ت٣٥١هـ)، تح: عزّ الدّين التّنوخيّ، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة بدمشق.
٣- الإتباع والمزاوجة: أحمد بن فارس، تح: كمال مصطفى، مطبعة السعادة- مصر.
٤- الإتباع والمزاوجة في ضوء الدّرس اللغويّ الحديث، د. عطية سليمان أحمد، دار الكتب العلميّة،القاهرة:٢٠٠٤
٥- تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزَّبيديّ(ت١٢٠٥هـ)، تح: مجموعة من المحقّقين، دار الهداية.
٦- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهريّ (ت٣٧٠هـ)، تح: مُحَمَّد عوض مرعب، دار إحياء التّراث العربيّ- بيروت، ط١-٢٠٠١م.
٧- كتاب التعريفات: الشريف الجرجانيّ(ت٨١٦هـ)، تح: جماعة من العلماء، دار الكتب العلميّة بيروت، ط١- ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
٨- التّوقيف على مهمّات التّعاريف: زين الدّين المناويّ(ت١٠٣١هـ)، عالم الكتب القاهرة، ط١-١٩٩٠م.
٩- دراسات في فقه اللغة: د. صبحي إبراهيم الصّالح (ت١٤٠٧هـ)، دار العلم للملايين، ط١-١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.
١٠- دراسات لغويّة: د. حسين نصار، دار الرائد العربيّ، بيروت، ط١-١٤٠١هـ ١٩٨١م.
١١- دستور العلماء: عبد النّبيّ بن عبد الرسول الأحمد نكريّ (ت ق ١٢هـ)/، دار الكتب العلميّة – بيروت، ط١-١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م
١٢- الصاحبي في فقه اللغة : أحمد بن فارس(ت ٣٩٥هـ)، الناشر: محمد علي بيضون، ط١- ١٤١٨هـ -١٩٩٧م
١٣- كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٠هـ)، تح: د مهدي المخزوميّ، د إبراهيم السّامرائيّ، دار ومكتبة الهلال.
١٤- غريب الحديث: لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم (ت٢٢٤هـ)، تح: د. مُحَمَّد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانيّة، حيدر آباد- الدّكن، ط١-١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
١٥- الفروق اللغوية: لأبي هلال العسكريّ (ت ٣٩٥هـ)، تح: مُحَمَّد إبراهيم سليم، دار العلم والثّقافة، القاهرة.
١٦- فقه اللغة وسرّ العربيّة: لأبي منصور الثّعالبيّ(ت٤٢٩هـ)، تح: عبد الرّزاق المهديّ، دار إحياء التّراث العربيّ، ط١-١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
١٧- الكلّيّات: لأبي البقاء الكفويّ (ت١٠٩٤هـ)، تح: عدنان درويش – مُحَمَّد المصريّ، مؤسّسة الرِّسالة – بيروت.
١٨- لسان العرب: لابن منظور الإفريقيّ(ت ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣ - ١٤١٤هـ.
١٩- المحكم والمحيط الأعظم: لأبي الحسن بن سيده المرسيّ(ت٤٥٨هـ)، تح: عبد الحميد هنداويّ، دار الكتب العلميّة – بيروت، ط١-١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م
٢٠- المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدّين السّيوطيّ(ت٩١١هـ)، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلميّة – بيروت، ط١-١٤١٨هـ ١٩٩٨م
٢١- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرّسوم: جلال الدّين السّيوطيّ(ت٩١١هـ)، تح: أ. د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١-١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٢٢- مقدّمة لدرس لغة العرب: عبد الله العلايليّ، المطبعة العصريّة، القاهرة.

۞ الرسائل الجامعية:

١- ظاهرة الإتباع والمزاوجة وأثرها في الأمثال العربية، سائر عادل دندش، رسالة ماجستير، جامعة تشرين، إشراف: الدكتور ماهر عيسى حبيب.

۞ الأبحاث المنشورة:

١- المشاكلة في اللغة العربية (صوتيّاً وصرفيّاً)، ماهر خضيّر هاشم، مجلّة جامعة بابل للعلوم الإنسانيّة، المجلّد ١٨، العدد (٣): ٢٠١٠م.